كما أشرنا إلى بداية العصور الوسطى واختلاف الآراء حول بدايتها فكذلك نهايتها من مثل ذلك فما طرأ على المجتمع الروماني وما جاوره من تغييرات جعلته يعيش مرحلة العصور الوسطى فذلك له أسبابه تجعل هذا التغير من مجتمع العصر الوسيط إلى مجتمع العصر الحديث. وهنا كذلك بعض الآراء التي تجعل الخروج من هذا العصر إلى عصر آخر ونذكر بعضا منها:

-**بعض الجوانب الحربية** ونذكر خصوصا سقوط مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التي حملت لواء الثقافة والحضارة الغربية في طابعها الشرقي على خطى اليونان فسقوط هذه المدينة سنة 1453م له آثاره البعيدة إذ أن نجم الإمبراطورية البيزنطية قد أفل ونفذ الأتراك باتجاه أوربا حاملين معهم أفكار جديدة بل تراث الشرق الإسلامي والذي مهد لقيام أنظمة ساهمت في قيام العصر الحديث، وأما ما يتعلق بالأحداث الحربية في الغرب الأوربي منها نهاية حرب مائة عام بين فرنسا وانجلترا سنة 1453م وما صاحب هذا الحدث من نتائج مست المجال الفكري والقومي والاقتصادي بل حتى المعماري وعمومها على بقية أوربا.

-آراء حول عصر النهضة

في حين يرى بعض المؤرخين أن عصر النهضة هو الحد الفاصل بين العصرين الوسيط والحديث ومرجع ذلك أن عصر النهضة اشتمل على تطورات وتغيرات في جميع المجالات ونذكر خصوصا ظهور اللغة القومية إذ أن مجتمع العصور الوسطى سادت به اللغة اللاتينية بينما نهايتها انتشرت اللغة القومية مثل ما قام به دانتي اليجيري(1265-1321) الذي كتب باللغة الايطالية كتابه الكوميديا الإلهية التي صاغها شعرا وكان متأثرا بالتراث الإسلامي ومن هؤلاء الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري صاحب رسالة الغفران، كما برز في انجلترا الشاعر جوفري شوسر(1340-1400م) وكان قد استخدم الانجليزية وتأثر بها غيره من معاصريه ويبرز لنا في فرنسا الشاعر فرانسوا فييون(1431-1491م) الذي وظف اللغة الفرنسية في كتابته بمنهج ساخر وبالتالي استخدام اللغات المحلية أعطى فرصا للكثير من الأوربيين الاطلاع على آراء المفكرين.

وفي مجال الرسم نذكر الرسام الايطالي سيمون مارتيني(1284-1344م) تميزت أعماله بالرشاقة ومن بعده رفائيل سانزو(1483-1520م) الرسام والمهندس المعماري الذي يعتبر من أعظم الفنانين العالميين إضافة الى مايكل انجلو(1475-1564م) وهو النحات والرسام والمنهدس المعماري، وعموما أن هؤلاء الفنانين وغيرهم قد خرجوا عن سيطرة الكنيسة وتقاليد العصور الوسطى.

-آراء تتعلق بالجانب الديني

إن هيمنة الكنيسة على مجتمع العصور الوسطى وما فرضته من تقاليد عليه، فإن الخروج عن ذلك التقليد يعتبر نهاية للعصور الوسطى، فإن بعض المؤرخين يرون أن حركة الإصلاح الديني التي هاجمت رجال الدين المسيحيين ونقدهم فإن مركز البابوية قد تأثر بذلك منذ القرن الرابع عشر الميلادي نتيجة **الأسر البابوي**(1305-1377م) والانشقاق الديني(1378-1417م) ومن الذين نادوا بالإصلاح هما **يوحنا هس**(1373-1415م) المصلح البوهيمي الذي اتهمته الكنيسة بالهرطقة وتم إعدامه حرقا **ويوحنا ويكلف**(1330-1384م) المصلح الانجليزي الذي أنكر سلطة البابا الذي تعارضت مع تعاليم الكتاب المقدس فأتهم بالهرطقة وبالتالي كان لهذين المصلحين أثرا على حركة مارتن لوثر الألماني(1483-1546م) الذي نادى هو الآخر

بالإصلاح الديني البروتستانتي ومن بعد هيو لاتيمر(1485-1555م) المصلح البروتستاني الانجليزي الذي حكم عليه بالإعدام حرقا بتهمة الهرطقة. وعليه فإن سيطرة الكنيسة وهي من معالم العصور الوسطى قد امتدت حتى منتصف القرن16م وذلك من خلال أحكامها على هؤلاء الهراطقة حسب معتقدها.

-الكشوف الجغرافية

إن حركة الكشوفات الجغرافية كان أثرها كبيرا على مجتمع العصور الوسطى إذ تعتبر نقلة نوعية من مرحلة لأخرى إذ أصبح المجتمع أكثر تطلعا لما حول هذا العالم ومنها ما قام به الملاح البرتغالي بارثليميوديناز(1450-1500م) الذي اكتشف طريق الرجاء الصالح سنة 1487م بجنوب إفريقيا ومن بعده فاسكو ديجاما(1469-1524م) الذي قام برحلة إلى الشرق عن طريق هذا المسلك آنف الذكر إضافة الى فريدناند ماجلان(1480-1521م) الذي يعتبر أول من قام برحلة حول العالم كما لمع نجم كريستوف كولومبس(1451-1506م) الذي يعزى إليه اكتشاف القارة الأمريكية. وبالتالي كل تلك الأحداث وماترتب عنها سياسيا واقتصاديا بل حتى فكريا ودينيا تجعل نهاية العصور الوسطى ممكنة وبداية عصر جديد. ومن خلال ما درسناه يمكن اعتبار القرن الخامس عشر وما حدث فيه من تغيرات فكرية وسياسية واقتصادية ودينية واجتماعية يجعل الانتقال من العصور الوسطى العصر الحديث أمر طبيعيا.

مراحل العصور الوسطى

يمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل وقد اختلفت كل مرحلة عن نظيرتها

المرحلة الأولى: تبدأ من القرن الرابع الميلادي وتنتهي بالقرن العاشر الميلادي وفيه حدث اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وما صاحبه من غزو القبائل الجرمانية وانتشار الفتوحات الإسلامية في القرن السابع والثامن والتي وصلت حتى اسبانيا كما شهدت هذه المرحلة تحرك قبائل الفايكينج من جزيرة اسكندنافيا في القرن التاسع الميلادي وقد صاحب ذلك انعدام الأمن والاستقرار وانعكاسه على الحياة الفكرية والثقافية.

-المرحلة الثانية تبدأ من القرن الحادي عشر وتنتهي بالقرن الثالث عشر الميلادي ساد الأمن نسبيا وظهور النظام الإقطاعي وانتشار المثل العليا والأخلاق الفاضلة بين الفرسان كما ظهر ت الجامعات في القرن الثاني عشر واهتم البعض بدراسة الفلسفة اليونانية والقانون الروماني وظهور الفن المعماري وتطور المدن وظهور قوتان الأولى دينية بقيادة البابا والدنيوية بزعامة الإمبراطور. ويتضح أن في هذه الفترة قد حدث تطورا شمل المجالات العلمية والفكرية والثقافية والفنية وبدأت مرحلة التكوين وقد اصطلح على ذلك بنهضة القرن الثاني عشر الميلادي.

-المرحلة الثالثة

ويظهر ذلك في القرن الرابع عشر الميلادي إذ تداخلت الأفكار وتفاعلت بسبب الاحتكاك بين المجتمعين الشرقي والغربي لاسيما عند نقاط التماس الثلاث اسبانيا وصقلية والحروب الصليبية، وبهذا أصبحت أوربا تتربع على تراث راق من العلوم والمعارف إذ أنه هيأ لها بداية عصر جديد أنار طريقه العلماء العرب والمسلمين في جميع ميادين الحياة.